حول "رسالة حياة"

(من أستاذهم مدة أربعين ربيعًا)

منذ أربعين ربيعًا، أدرّس في معهد القديس بولس بحريصا مرسلاتٍ فاضلاتٍ لم تبلغ معظمهنّ الأربعين ربيعًا من عمرهنّ.

دعاهنّ أساسًا معلّمهنّ الالهي ليتبعنه فورًا فيمسين صيادات ناس... أي زارعات للكلمة بغية جمع البشر حول معلّمهم الالهي.

بأية قوّة يدعو الربّ اركان "رسالة حياة"، وما الدافع عندهنّ لكي يتركن كل شيء ويسرنَ وراء المعلم؟ الجاذب وداعة وقوة وفرح. انها لغة جديدة، وحرارة لا يألفها أي انسان عادي. الى جانب الجمالات الروحيّة التي تتحلّى بها مرسلات "رسالة حياة" يتخذنَ رحاب المجتمع مكانًا للتبشير. اغتسلن بالروح فانشددنَ الى الرب انشدادًا كليًا لا رجوع عنه.

قلبهنّ متعلّق بالمعلّم وحدَه، وليس مرتبكًا بشيء آخر. مكانه في قلبهنّ هو القلب كله.

مضين لصيد النفوس فتركنَ الشباك البشرية، وتركنَ والديهنّ ايضًا وهو أهم. اهتداؤهنّ الحقيقي الصادق تطلّب ان ينفصلن عن اصدقاء وعن بعض الأهل، وهذا شيء مؤلم. ذلك أن الأقربين قبل الغرباء يحاربونهنّ أحيانًا اذا لاحظوا ان تقواهنّ اشتدّت. ولكن، الى اين يذهبن؟ إنهنّ يدركنَ ان الحياة الأبدية عند بارئ الأكوان.

معهنّ تقدّمتْ الى عمق القلوب. خاطبتْ في تدريسي الفلسفة والأخلاق عقلهنّ وقلبهنّ على السواء. لمستْ أنهنّ انسلخنَ عن كل شهوة ضارة معوّقة لرؤيتهنّ الله في كل بهائه. هذه هي الحياة الرسولية، أن يكون المرء ملتصقًا بمعلّمه الالهي. فإذا ذهب المرسَل الى الناس فلكي يبلّغه ما رأى بعينيه وما سمعته أذناه وما لمسه بيديه من معاشرة الفادي الأكبر.

يمضينَ الى المعهد ثم الى الناس بقوة الروح. يمضينَ ولا يتركنَ الروح. ان تكون المرسَلة صائدة للناس يعني ان ما وراء خدمتها التي تؤديها ليس القصد منها ما يراه الناس فيها وما يسمعونه، ولكنّ القصد ان يرتمي كل من الأخوة في البشرية على صدر معلّمهم الالهي ليسمعوا خفقات قلبه. واذا قامت بزيارة فليس لتسلّم على الناس وتسألهم عن أحوالهم وأحوال بنيهم ليس إلاّ. ولكنّ الغاية ان توصل كلمة الله واضحة اليهم!

لقنتهنّ مبادئ الفلسفة وما اليها، وخلال معايشتهنّ بتُّ أكثر فأكثر صائدًا للناس بقوة لا تتوسّل الطاقة الجسدية او المادية بقدر ما تشهد باستقامة الحياة ونقاوتها. انها كلمات الحياة الحقة. وهنا مسؤولية انتدبها لها انتماؤنا الروحيّ. وبلا تبليغ الناس الرسالة بالوسائل المتاحة والجهاد المتسامي، يكون انتماؤنا الموسمي و/ أو السطحي مجرّد خبث ورياء.

مهمّة رسالة المرسلات قبل المرسلين، صعبة وطويلة، لازمتْ طالباتي المدعوات الى الكرازة او البشارة العمرَ كله. واستلزمت استعدادًا للدرس الموصول الذي توافر لديهنّ بامتياز، وللتنقية المتواصلة والجهد الدائم وحياة صلاة. ولكنَّ مَن أرسله الله في الخدمة يفتح قلبه لله ويتشدّد به ويقتحم البشر، وإنْ هم تجنّوا عليه احيانًا كما يجري اليوم ليس في مجتمعنا فقط وانما في العالم بأسره.

أقول لخصوم الحق والايمان، ان مرسلاتنا الفاضلات وكذلك إن اخوتهم المرسلين ممن تتلمذوا عليّ في معهد حريصا، سلاحهم المدسوس كبد نردّه الى نحر اصحابه، معلنين على رؤوس الاشهاد هذه الحقيقة الساطعة: الايمان المعقلن قصي عن كره التقدم والروح العصري قصاءَ الشرق عن الغرب. فهذا التاريخ، فليستنبؤوه، يروا فيه خير شاهد على أن الايمان سيظلّ أول وأكبر نصير للعمران، على اختلاف أنواعه ودرجاته. إنه من محبّذي الترقّي حتى مادّية. والبرهان العقلي على صحة ذلك، فضلاً عن النقلي، هو ان الدين او الايمان، اذا كان حقًا وصلاحًا، فهو عاجز كل العجز عن ان يرذل ما هو صالح بذاته، وحق في مبادئه، ومفيد في نتائجه. فلا يظنّن أحدٌ في اخوتنا من "رسالة حياة" ويحكم بالظاهر ويحكم حكمًا عدلاً. ليختلط مَن شاء بالمرسلين والمرسلات ويعرفهم حقًا ولا تبقى الخطايا المنسوبة اليهم ظلمًا أو تضليلاً في غمر هذه الأيام الغريبة العجيبة.

الدكتور جهاد نعمان
أستاذ في المعهد العالي للدكتوراه